

النظريات السكانية

ثالثاً - نظرية جيني (كواردو جيني 1884)

مفكر اجتماعي إيطالي اهتم بدرجة كبيرة بدراسة التغير السكاني باعتباره مؤشراً على تغير وتطور المجتمع، وعرض أفكاره وقضاياها النظرية في مؤلفه (أثر السكان في تطور المجتمع) الذي نُشر في عام 1912 وشبهه جيني مراحل نمو السكان بدورة حياة الإنسان منذ ولادته مروراً بطفولته ومراهقته وشبابه ورشده وشيخوخته ثم وفاته، وفيما يأتي ملخص لنظرية جيني :

• يمر المجتمع بثلاث مراحل :

أ- النشأة والتكوين .

ب- التقدم والازدهار .

ج- الاضمحلال والفناء .

- افترض أنه في كل مرحلة من مراحل تطور وتغير المجتمع نلاحظ خصائص محددة تميز نمو السكان ونتائج تترتب على هذا النمو تؤثر في مختلف جوانب المجتمع البيولوجية والاقتصادية وغيرها .
- أخذ يبحث عن الشواهد الواقعية التي تؤكد الارتباط بين نمو السكان .

أ- مرحلة النشأة والتكوين

يرى جيني أن الشعب في المراحل الأولى يتميز بالتجانس والبساطة وعدم التعقيد، ويرتفع فيه معدل الخصوبة الناجم عن زيادة القدرة على الإنسال بحكم الوراثة، لذلك يزداد نمو السكان إلى درجة تعقيد المجتمع والتفاوت الطبقي بين مكوناته الأساسية، ويصاحب ذلك اختلاف في السلوك الإنجابي لمختلف الطبقات الاجتماعية، وبسبب زيادة عدد السكان يتولد الضغط السكاني على الموارد المتاحة وما ينطوي عليها من انعكاسات أخرى .

ب- مرحلة التقدم والازدهار

عندما ينتقل المجتمع إلى مرحلة التقدم والازدهار يحدث تناقصاً في الخصوبة، لأن المواليد في المجتمع يحيون بنسبة صغيرة من سكان الجيل السابق في هذه المرحلة، والنسبة الأخرى من هؤلاء السكان تكون قد دخلت في عداد الوفيات قبل زواجها، أو لم يستطع جزء منها أن ينجب نسلًا بعد الزواج، فضلاً عن أن نسبة الإنسال بين الطبقات الصاعدة إلى أعلى السلم الاجتماعي تتجه عموماً نحو الانخفاض؛ أي باختصار يبدأ النقص في عدد المواليد في الطبقات العليا، ثم يظهر في جميع الطبقات نتيجة صعود أفراد من الطبقة الدنيا لتشغل الفراغ الذي يوجد في الطبقات العليا، وعقم هؤلاء الصاعدين إلى طبقات أعلى ليس نتيجة الظروف الاجتماعية المحيطة بصعودهم، لكن بسبب الضعف الذي ينتاب غريزة التناسل وهو مرحلة حتمية من مراحل دورة النمو السكاني .

ومن النتائج الاقتصادية المترتبة على نقص السكان في هذه المرحلة زيادة استغلال المستعمرات وانتعاش الاقتصاد وارتفاع مستوى المعيشة، وتعم الرفاهية ويضطر للتصنيع وتتمو المدن وتزدهر التجارة والفنون والأدب والموسيقا، وبذلك يشعر المجتمع بالسعادة والاطمئنان على مستقبله .

ج- مرحلة الاضمحلال والفناء

في هذه المرحلة من تطور المجتمع يقل عدد السكان في كثير من أجزاء المجتمع، حيث يتناقص عدد السكان في المناطق الريفية نتيجة نمو التصنيع والتوسع في هجرة العمالة من الريف إلى الحضر فضلاً عن تأثير عامل النقص الشديد في معدل الخصوبة، مما يؤدي إلى إهمال الأرض الزراعية نتيجة نقص الأيدي العاملة وزيادة حالة الفلاحين سوءاً وتتدهور أحوالهم الاقتصادية، وفي المدينة يقل الطلب ويزيد التعارض في أوضاع الطبقات العمالية في المدن والطبقات العليا حيث ينشب الصراع الطبقي بينهم، ويستمر معدل نمو السكان بالانخفاض المتواصل حتى يقترب الشعب من حالة الانقراض النهائي ويعود السبب إلى حالة الحراك الاجتماعي الصاعد .

أهم مميزات نظرية جيني

- 1- يرتبط تطور أي مجتمع ارتباطاً وثيقاً بالتغيرات في معدلات النمو السكاني بنسب مختلفة.
- 2- نظريته من النظريات الطبيعية لاعتقاده بأن العامل الرئيسي في نمو السكان هو التغير البيولوجي أكثر منه تغير اجتماعي أو اقتصادي .

- 3- نسبة صغيرة نسبياً من جيل واحد تولد أغلبية السكان في الجيل التالي .
- 4- وصّف عملية نمو الشعوب بأنها الارتفاع والهبوط الدوريان للسكان، وبعثد بوجود قوة طبيعية حتمية تؤدي إلى ارتفاع الجماعات السكانية وهبوطها .
- 5- شبه دورة حياة الشعوب بدورة حياة الفرد تبدأ بالنمو السريع ثم النضج ثم الشيخوخة التي تتناقص خلالها أعداد السكان وتتدهور الخصائص الحضارية .
- 6- يتميز أي شعب في شبابه بالبساطة وعدم التعقيد وبارتفاع معدل الخصوبة.
- 7- كلما تزايد عدد السكان يبدأ ضغطهم على الأرض المتاحة فيحدث توسع على حساب الآخرين عن طريق الحرب أو الاستعمار أو كليهما معاً .
- 8- يستمر تعقيد التنظيم الاجتماعي والاقتصادي في التزايد ويصبحه تناقص في معدل النمو السكاني والسبب بيولوجي .
- 9- يبدأ النقص في عدد المواليد في الطبقات العليا، ثم يظهر في جميع الطبقات نتيجة صعود أفراد في الطبقة الدنيا لشغل الفراغ الذي يوجد في الطبقات العليا، وعقم هؤلاء الصاعدين إلى طبقات أعلى ليس نتيجة الظروف الاجتماعية المحيطة بصعودهم، لكن بسبب الضعف الذي ينتاب غزيرة التنازل وهو مرحلة حتمية من مراحل دورة النمو السكاني.
- 10- تكون التغيرات البيولوجية باطنية لا سلطان للإنسان عليها تماماً، ويعتبرها من العوامل الرئيسية التي تحدد نمو السكان كميّاً (قدرته على الإنجاب أو خصوبته وبقائه)، كما أنها تحدد نمو السكان من ناحية الكيف (الخصائص التي تميز حضارات الإنسان) .

الانتقادات الموجهة إلى نظرية جيني

- يفترض وجود قوة طبيعية تعمل على تحديد عدد السكان بالارتفاع والانخفاض تتمثل بالعوامل البيولوجية التي تؤثر على ضعف القدرة على الإنسال وهو افتراض يصعب قبوله .
- استمد الوقائع التي بنى عليها نظريته من تاريخ الشعوب التي تأتي في مقدمتها اليونان والرومان، لكن لوحظ أن هناك شعوباً مثل الصين والهند قد أخذت في تطورها اتجاهات مغايراً لتطور المجتمع، وتميزت

بدرجة عالية من الخصوبة، وبالتالي لا يمكن أن تنطبق هذه النظرية على كل المجتمعات في كل الأوقات كما يرى جيني .

- لم ينتبه جيني إلى العوامل الأخرى التي تؤثر على انخفاض معدل نمو السكان مثل المجاعات والوفيات والإجهاد ... التي تسيّر المجتمع في اتجاه يختلف كلياً عن الاتجاه الذي تصوره .
- بينت دراسة الشعوب التي أصابها الاضمحلال مثل قرطاجة وبابل وآشور... أن هناك عوامل غير العوامل السكانية كانت سبباً في اضمحلالها تتمثل بعوامل حربية بحتة .

رابعاً - نظرية سبنسر (هربرت سبنسر 1820-1903)

يؤكد سبنسر في نظريته أنه يوجد في الطبيعة تناقضاً بين الذاتية والتوالد، فكلما ازداد ما يبذله الفرد من جهود لتأكيد وجوده ونجاحه كلما ضَعُفَتْ جهوده في الإنجاب، ويعتقد أن الغذاء يزيد من القدرة على التناسل وأشار أن الحياة عند الكثير من المخلوقات تبدأ في وقت من العام يكون فيه الدفء كبير مما يساعد على وجود مؤونة غذائية، وأن الغذاء المتزايد يجعل حياة الفرد سهلة وتكفل حاجاته في يسر، وبناءً على ذلك يؤدي الرخاء إلى تزايد السكان .

يمكن استخلاص النقاط الآتية من نظرية سبنسر

- 1- يزيد الغذاء الجيد من القدرة على التناسل، ويؤدي الرخاء إلى تزايد السكان .
- 2- يوجد تعارض بين التناسل والنضوج الذاتي، لأن المخلوقات كلما ارتفعت وتطورت من الأشكال الدنيا للحياة كلما نُفِصَتْ خصوبتها، فإذا كانت الأجسام العضوية الدنيا ضعيفة القدرة ولا تستطيع المحافظة على نفسها فإنها تتكاثر بدرجة كبيرة حتى لا تفنى، وإذا كانت الأشكال العليا للأجسام العضوية تتفوق جزءاً كبيراً من قوتها ونشاطها في إنضاج ذاتيتها وبناء شخصيتها فإنه لا يتبقى لها إلا القليل لبذله في مجال التوالد والإنجاب .
- 3- دعم سبنسر اعتقاده بناءً على ما لاحظ من قلة النسل بين السيدات المشتغلات في المهن الفكرية اللاتي ينتسبن إلى طبقات عليا وينلن رعاية صحية أفضل، ويكون تناسلهن ضعيفاً بسبب الإجهاد الذهني والعجز عن إرضاع أطفالهن ورعايتهم ومداهم بالغذاء الطبيعي.
- 4- أكد سبنسر أنه كلما ازداد ما بذله الفرد من جهود لتأكيد ذاته ووجوده ونجاحه ضَعُفَتْ قدرته على الإنجاب والتوالد .

الانتقاد الموجه إلى نظرية سبنسر

اهتم سبنسر بوضع نظريته في مسألة السكان بما ينسجم مع نظريته العامة في التطور البيولوجي وفي الواقع لا تتطوي الحياة على ذلك الترابط الذي كشف عنه في نظريته .

المشكلة السكانية

تحظى المشكلة السكانية على المستوى العالمي بأهمية خاصة في عصرنا الحالي، وذلك نتيجة الزيادة المتسارعة في عدد السكان، فقد تضاعف عدد سكان العالم من (2.5) مليار نسمة في عام 1950 إلى (5) مليار نسمة في عام 1987، وبلغ نمو السكان في العالم حالياً مستوى أعلى مما كان عليه في أي وقت مضى بالأرقام المطلقة، حيث تتجاوز الزيادات السنوية في السكان أكثر من (90) مليون نسمة حتى عام 2015 وكان من نتائج هذه الزيادة عدم إيفاء الموارد الاقتصادية بحاجات البشر، وأصبحت الدول خاصةً النامية تعاني من مشكلات خطيرة أهمها نقص الطعام وتلوث البيئة وأزمة الإسكان، ويعد معدل النمو السكاني في العالم العربي بصفة عامة من أعلى المعدلات في العالم، إذ يبلغ نحو (4%) سنوياً، وهذا يعني أن سكان العالم العربي يتزايدون في الوقت الحاضر بما لا يقل عن سبعة ملايين نسمة سنوياً، وتصل معدلات النمو السكاني في كل من السعودية وليبيا وقطر وسورية والأردن إلى أكثر من (3.5%) سنوياً، بينما تسجل لبنان وتونس أدنى معدلات النمو السكاني في العالم العربي إلا إنها مازالت معدلات مرتفعة إذا قورنت بالقياس العالمي .

تعرف المشكلة السكانية بأنها الخلل في التوازن بين موارد الدولة وحاجات السكان، أو بين معدلات التنمية الاقتصادية ومعدلات النمو السكاني، وكلما اتسعت الفجوة بينهما انخفض مستوى المعيشة بالنسبة للأسرة والفرد، وبالتالي ينحدر المستوى الاجتماعي إلى مزيد من التخلف وعدم القدرة على الإنتاج، وتصل مشكلة التزايد السكاني في وقت ما إلى مرحلة يصعب فيها توفير الغذاء ومتطلبات الحياة البشرية الأخرى للجميع .

آثار المشكلة السكانية

أولاً - الآثار الاقتصادية

1- ارتفاع عبء الإعالة نتيجة ارتفاع معدلات الخصوبة وارتفاع نسبة الأطفال الذين يقع عبء إعالتهم على مجموعة من المنتجين، حيث تنتسج قاعدة الهرم السكاني وتزداد نسبة غير القادرين على العمل من الأطفال إضافة إلى كبار السن والمرضى والمرأة غير العاملة.

2- نتيجة لعدم التوازن بين النمو السكاني ونمو الناتج القومي فإن نصيب الفرد من الناتج القومي يتناقص ويحدث ذلك نتيجة انخفاض نصيب الفرد من المساحة المزروعة من الأرض، وبالتالي نصيبه من المساحة المحصولية، مما يؤدي إلى عدم كفاية المحاصيل الزراعية لحاجات السكان، ويعني هذا نقص قدرة الإعالة للأرض التي يقصد بها قدرة الأرض على إنتاج الغذاء وتزويد سكانها بمطالبهم المعيشية.

3- تؤدي الزيادة السكانية المستمرة إلى تعثر عملية التنمية نظراً لعدم وجود موارد مالية كافية للتنمية، حيث تلتهم الزيادة السكانية التقدم الذي يحدث في التنمية، وهذا يؤدي إلى تقلص فرص العمل وانتشار البطالة بين القادرين على العمل، كما أن هجرة السكان من الريف إلى الحضر سعياً للحصول على فرص عمل خاصة مع ارتفاع نسبة كثافة السكان على الأرض الزراعية أدى إلى تضخم المدن وزيادة الكثافة السكانية بها، مما شكل ضغطاً على المرافق العامة وخلق مشاكل عديدة في الإسكان والمواصلات وتوفير المياه والصرف الصحي .

المراجع :

- 1- جلبي، علي عبد الرزاق (1984) - علم اجتماع السكان. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 90
- 2- خضور، يوسف (2007) - دراسات في التربية البيئية والسكانية. منشورات جامعة البعث، كلية التربية، حمص، سورية، ص 210 .